لأية دولة اولى في العالم منذ ان عرفت الدول الأولى ايام الفرس واليونان والرومان ومن تلاهم. لاتكتمل قوة الدولة الأولى إلا بتحقيق نفوذ اساسي لها في الشرق الأوسط، وخروجها منه هو تحوّلها عن مركز الدولة الأولى. ولذلك كان تاريخ هذه المنطقة، هو مواجهة الغزوات الخارجية والنفوذ الخارجي للدول الكبرى وبخاصة الدولة الأولى، ولم تتحرر من هذه الحالة إلا بظهور الاسلام الذي وحّد المنطقة في دولة واحدة اصبحت هي الدولة الأولى، الى ان قضي على هذه الحالة في الحرب العالمية الأولى بشكل حاسم، فاقتسمت بريطانيا وفرنسا المنطقة، ثم وقعت الحرب العالمية الثانية فظهرت اميركا والاتحاد السوفياتي كمركزين للقوة الدولية، بديلا عن بريطانيا وفرنسا.

لم تكتف بريطانيا وفرنسا، والاستعمار الغربي، بشكل عام، بتقسيم العالم العربي، الى دول، بل كان لابد من منع وحدة هذه المنطقة من جديد، ولذلك ظهرت فكرة اقامة دولة اسرائيل وفي فلسطين بالذات، لأن الموقع الجغرافي لفلسطين يمثل وضعا مثاليا للسيطرة على منطقة الشرق الأوسط، ومنع وحدة شعبه في دولة واحدة، سواء اخذت شكل الدولة الواحدة، او الاتحاد الفدرالي او حتى الكونفدرالي.

الحركة الصهيونية ودولة اسرائيل

لقد اصبح ثابتا ان الحركة الصهيونية، لم تكن في اساسها، كفكرة وكممارسة، حركة يهودية. بل هي في الأساس فكرة اوروبية استعمارية بدأت بشكل عملي منذ اوائل القرن التاسع عشر. ولذلك، فان المؤرخين اليهود يعتبرون ان وعد بلفور، لم يبدأ عام ١٩١٧، وانما بدأ في عهد بالمرستون (البريطاني) في عام ١٨٣٧. ويلاحظ، بوضوح كامل، ان الأغلبية الساحقة من يهود العالم كانت تعارض الحركة الصهيونية، واقامة دولة اسرائيل، حتى الحرب العالمية الثانية، بشكل جزئي، وحتى قيام دولة اسرائيل عام ١٩٤٨ بشكل كامل. ولم يكن الهدف من اقامة دولة اسرائيل موقفا انسانيا تجاه اليهود، فكل من ايد الحركة الصهيونية كان معاديا لليهود. اما الهدف الحقيقي، فهو زرع كيان غريب ومعاد لشعب المنطقة في فلسطين قلب هذه المنطقة، لاحكام السيطرة عليها، ومنع وحدتها وقوتها. كما اصبح واضحا الآن، بأن اسرائيل، تمثل قاعدة عسكرية مثالية في فاعليتها وفي رخص تكاليفها بالنسبة للغرب، سواء بالنسبة للسيطرة على الشرق الأوسط، او لتأمين احتياجات المواجهة العسكرية بين المعسكر الغربي والاشتراكي في حالة حرب عالمية، ولعل آخر ايضاح لهذه الفكرة، هو قرار ادارة ريغان الأخير، باعتبار اسرائيل القاعدة الاستراتيجية الأساسية وليست مصر، كما كان يطمح السادات ان تكون. وسبب هذا القرار، كما نشرته الصحف، هو الأسباب ذاتها التي دفعت بريطانيا الى تبني فكرة قيام دولة اسرائيل في فلسطين وهي:

١ ــ ان التجمّع الشعبي في اسرائيل لايمكن ان يعادي الغرب لأن استمرار الدولة مرتبط بحماية الغرب لها، بينما هذا غير مضمون بالنسبة للشعب العربي في مصر.

٢ ــ ان مستوى الصيانة وفاعلية ورش الصيانة، وفاعلية مخازن الوقود وقطع الغيار والنفط اللازم للجيش الأميركي ارقى كثيرا مما هو عليه الحال في مصر.